المقدمة

بسم الله الرّحمٰن الرحيم وله الحمد

كان الناس ـ في أيامهم السالفة ـ يعتمدون على تجاربهم الخاصة للسلع، فمن كانت سلعته أنقى وصنعته أمتن أقبل الناس على شراء منتوجاته، أما إذا وجدوا السلعة لا تفي لهم بالأغراض التي يريدونها منها فإنهم يعزفون عنها، ولو جاء صاحبها بألف شاهد وشاهد على جودة سلعته. فما كانوا مستعدين لأن يكذبوا على أنفسهم من أجل قول فلان أو فلان.

أما اليوم فقد أصبح المنتجون يبذلون ثلث دخلهم على الدعاية، ولو لم يفعلوا ذلك لما وجدوا زبوناً واحداً. فقد أراح الناس أنفسهم من نصب الاختيار. ووكلوا رجال الدعاية ليقوموا عنهم بهذه المهمة.

هذه الحالة لم تكن خاصة بالسلع المادية، بل هي منطبقة أيضاً على النواحي الفنية، فالناس ـ فيما مضى من زمان ـ ما كانوا بحاجة لمن يقدم لهم الكتب أو يعرّف لهم الكتاب، فقد كانت لكل منهم موازينه الخاصة، وقيمه التي لا ترضى أن ينظر إلى الأشياء إلاَّ من خلالها.

وتبدل الزمان ـ بتبدل أهله ـ فضاعت الموازين، وصار الناس يطلبون ممن ينشر كتاباً أن يلصق بكتابه أوراقاً كتبها غيره، تقيم لهم ما في ذلك الكتاب، وتعرّفهم بكاتبه.

وسار صديقي على العادة المتبعة بين أبناء عصره، فطلب مني أن أُقدم لديوانه على الرغم من وثوقه بقوة فنه. وعمق أدبه.

والديوان داخل فيما يسمى بـ «الأدب الشعبي» بعد أن انقسم الأدب إلى فصيح وشعبي. فهو مكتوب باللهجة المحلية. وليس في هذا من عيب أو غضاضة. فاللهجة العامة هي اليوم لغة الشعب، بها يعبّر عن مقاصده، وفيها يظهر ما لديه من براعة في الأدب، حتى غدا هذا الضرب من الشعر يضم المعاني الرائعة إلى تعابيره البليغة ومجازاته السامية وكناياته الرشيقة اللطيفة.

طلب مني صديقي أن أُقدّم لديوانه، وهو أعرف مني بفنون الأدب الشعبي وأدرى مني بمداخله ومخارجه. وما مثلي ومثله في هذا الشأن إلا كمثل الحائك والبزّاز في أمر القماش. فالبزاز وإن علم بمدى رغبة الناس في هذا اللون وعرف القيمة السوقية التي يمكن أن تستدر، ولكن الحائك يعرف سداه ولحمته وجودة صنعه ومتانته.

وإذا كان باستطاعتي أن أقول عن هذا الديوان شيئاً بعد وصفي إياه بعمق الفن وجزالة الأُسلوب وقوة السبك ورشاقة التعبير، . . . . إذا كان باستطاعتي أن أقول شيئاً بعد هذا، فهو كلامي عن كونه ديواناً جامعاً لكافة بحور الشعر الشعبي، مستعرضاً لجميع أغراضه، ملماً بسائر مقاصده. فلم يقتصر شعره على المدح والرثاء، وإنما ضم إليهما الوصف والغزل، وألحق بهما الوعظ والتأريخ، معقباً ذلك بتحليل صادق لما يعيشه الناس من العادات والمواصفات والتقاليد، ولهذا فهو أول ديوان جامع صدر للشعراء الشعبيين في البحرين. هذا عن الديوان. أما الشاعر فلا أراني بحاجة لتعريفه للقراء، فلا أظن أن هناك من يجهله في البحرين باسمه أو بشخصه، وكفى أنه أحد خطباء المنبر الحسيني منذ أيام الصغر.

النجف الأشرف

بتاريخ ١٣٨٤/٣/١٨ هجرية

سليمان المدني